

الأمن الدولي في ظل الأزمة الصحية، معطيات الصراع والتعاون -دراسة حالة كوفيد19-

International security at the health crisis, data of conflict and cooperation - COVID-19 as study case-

بونيف سامي محمد

طالب دكتوراه/ جامعة الجزائر -3-

الإيميل: bounif.samimohamed@univ-alger3.dz

تاريخ النشر: 2021-04-15

تاريخ القبول: 2021-04-02

تاريخ الاستلام: 2020-12-14

ملخص:

عرفت البشرية منذ وجودها على الأرض عدة تحديات مادية ومعنوية كان فيها البشر وجه لوجه أمام قسوة الطبيعة وبدأت هذه التحديات في التراجع مع التطور البشري في الحياة اليومية ، و برز تحدي كان يطرح بحدة أكثر فأكثر مع تزايد الصراع على المصالح في ظل مسألتي الندرة والحاجات ، و رغم وجود العديد من الهزات الطبيعية التي عرفها العصر الحالي من زلازل وفياضانات أثبت العلم البشري قصوره أمام الظروف الطبيعية خاصة تلك التي لا تخضع لشروط التنبؤ ، وفي ظل غياب ريتختر جديد لقياس شدة الأمراض التي تهدد الفرد في ذاته شهدت البشرية موجات مختلفة من الأمراض المستعصية التي كان لها الصدى الواسع دوليا فالأنفلونزا الإسبانية التي كانت في العشرينيات و فيروس الإيدز في الثمانيات و الإيبولا ومؤخرا فيروس كوفيد19، والذي كان له الدور في إعادة الإعتبار للحدود الوبستفالية وعصر ما قبل العولمة و لعل المعركة ضد هذا الفيروس كمهدد للأمن الجماعي لم يكن لها الدور الكافي لتوحيد الجهود بقدر ما كان وجهها آخر للصراع بين الدول لإنهاء هذا الخطر عبر إستنفار مراكز البحوث عكس ما يروج له من شعارات التعاون لإنقاذ الإنسانية ، وتسعى هذه الدراسة لتسليط الضوء على هذه الجهود وأثرها على التنافس والصراع الدولي حول اللقاحات الممكنة لفيروس كوفيد19 و موقع المصالح في هذا السباق بين الدول.

الكلمات الدالة: الأمن ، الأزمة الصحية ، الصراع ، التعاون ، جائحة كورونا.

Abstract:

Since its existence on Earth, mankind has known several material and moral challenges in which people have been face to face in the face of the cruelty of nature, and these challenges began to decline with human development in daily life, and a challenge emerged that was posing more and more sharply with the increasing conflict over interests in light of the issues of scarcity and needs, and Despite the presence of many natural shocks in the current era of earthquakes and floods, human science has proven its limitations in the face of natural conditions, especially those that are not subject to the conditions of prediction, and in the absence of a new Richter to measure the severity of diseases that threaten the individual in himself, mankind has witnessed various waves of intractable diseases that it had Its echo is wide internationally, as the Spanish flu that was in the twenties, the AIDS virus in the eighties, the Ebola virus, and more recently the Covid 19 virus, which had a role in restoring the Westphalian borders and the pre-globalization era, and perhaps the battle against this virus

as a threat to collective security did not have a sufficient role to unite efforts as far as It was another aspect of the struggle between countries to end this danger through the mobilization of research centers, in contrast to the slogans of cooperation to save humanity, and this study seeks to shed light on These efforts have an impact on the international competition and conflict over possible vaccines for the Covid 19 virus and the position of interests in this race between countries.

Keywords: Security ; health crisis; conflict; cooperation; Corona pandemic.

المؤلف المرسل: بونيف سامي محمد البريد الإلكتروني: bounif.samimohamed@univ-alger3.dz

مقدمة:

يختم الصراع مؤخرا على صعيد البحث الحثيث على لقاح لفيروس كوفيد-19 الذي يضرب العالم منذ ظهوره أواخر نوفمبر 2019م في الصين لينتشر في كل بقاع الكرة الأرضية في أقل من ست أشهر و يساهم في شل الحياة البشرية منذ ذلك الوقت ، ومع مرور الوقت بدأت بوادر الحلول تظهر شيئا فشيئا مع تقدم نتائج البحوث لإيجاد لقاح لهذه الحالة الصحية، و بدت ملامح الأقطاب القادمة أكثر وضوحا فالصين كانت أكثر المستفيدين إقتصاديا مع تحكمها في الأزمة الصحية و سعت لتصدير خبرتها في التسيير منذ إنتشار الفيروس خارج أراضيها ، و هو ما جعلها في مهب إنتقادات واسعة قادتها الولايات المتحدة الأمريكية التي لا يزال رئيسها الحالي دونالد ترامب يؤكد على جنسية الفيروس الصينية و مسؤوليتها في إنتشاره ، و ما بين تبادل الإتهامات و اللجوء للحلول التقليدية التي ظن البشر أن زمانها قد ولى يبدو أن الفيروس الجديد قد أظهر صراعات جديدة تضاف لتلك القائمة بالفعل قبل ظهوره و التي لن تنتهي دون شك بإنتهائه.

أهمية الدراسة : تبرز أهمية الموضوع في أن الواقع الدولي بما يحمله من وجهي التعاون والصراع قد شق طريقه منذ نهاية الحرب الباردة في محاولة لإيجاد صيغ جديدة للتعاون ، وقد بدأ جليا في المرحلة الأولى لهيكل النظام الدولي الجديد أن العولمة والهيمنة الأمريكية الواحدة تحت ظل أعتى الديمقراطيات في العالم بشعار أن الدول الديمقراطية لا تتصارع هو الإتجاه الدولي الجديد ، لكن سرعان ما بدأت الخلافات في الظهور بشكل كبير مع المستجدات التي تطرأ بين الفينة والأخرى ، و لم يخرج التعامل مع فيروس كوفيد-19 عن المألوف رغم أنه جاء في صورة تحمل كل معاني التهديد للأمن بكل مستوياته لكنه كان دافعا للتنافس والصراع أكثر من التعاون سواء في إجراءات المواجهة أو حتى في مسألة إيجاد اللقاح ضد الفيروس مؤخرا.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة للبحث في سياقات التعاون و التنافس الدولي في ظل تفشي جائحة كورونا من خلال البحث عن آثار الجائحة على المستوى الدولي بالاختصاص إذا ما تم النظر أن كل السياقات قد تدل على حالة تدعو للتكاتف من أجل مواجهة الخطر المهدد للبشرية دون إستثناء.

إشكالية الدراسة : إنطلاقاً من هذه العوامل فإن مسألة تأثير الجائحة على مسائل التعاون والصراع بين الدول لا تزال تطرح إشكالات مهمة في ظل تنامي أسباب الصراع كلما إتجه العالم للتخلص من هذه الجائحة الذي نقل الحرب على الفيروس إلى الحرب حوله ، ومنه يتم طرح الإشكالية التالية:

- ماهي تداعيات جائحة كورونا على مسائل الصراع التعاون ما بين الدول طوال مسار الأزمة الصحية ؟

فرضيات الدراسة : للإجابة على الإشكالات المطروح تفترض الدراسة فرضتين أساسيتين هما:

- كلما تزايد إنتشار الجائحة كلما أدى ذلك لتزايد إتجاه الدول نحو التعاون والعمل المشترك.

- واقع عملية التبادل المشترك بين الدول سيؤدي لعولمة اللقاح المعتمد لمواجهة تفشي فيروس كورونا .

منهجية الدراسة: تم الإعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بحيث تم توصيف الظاهرة من خلال الإجابة عن تساؤلات الدراسة التي تتمحور حول أثر الظاهرة المستجدة على العلاقات القائمة ، إذ أن الوصف يهتم أساساً بالوحدات أو الشروط أو العلاقات أو الأنساق الموجودة بالفعل و كذلك تم رصد عمل الظاهرة المتمثلة في إنتشار الجائحة وكيفية تعامل الوحدات الدولية معها سواء بشكل منفرد أو جماعي ، كذلك تم الإعتماد على المنهج التاريخي في التأصيل لتاريخ الظاهرة أو الظواهر المماثلة التي مر بها المجتمع الدولي مثل الأزمات الصحية الماضية وكيفية تطور التعامل الدولي معها.

تقسيم الدراسة: تم تقسيم الدراسة لمحورين أساسيين تم التطرق في المحور الأول للمفاهيم الخاصة بالأزمة الصحية و أثرها على الأمن الدولي و العلاقات الدولية وكذا تأصيل تاريخي لظهور الأزمات الصحية وكيفية تعامل الدول معها ، أما الشق الثاني فإختص بالحديث عن أزمة الجائحة الحالية بدءاً من ظهورها لغاية التعامل الدولي معها وكذا مشاريع اللقاحات التي تثير جدلاً دولياً حالياً.

المحور الأول: مفهوم الأزمة الصحية في العلاقات الدولية حدود الأثر والتأثير.

أولاً.تحديد مفاهيمي للأزمات الصحية.

تضع منظمة الصحة العالمية ثلاث أنواع من العوامل المسببة للأزمات والكوارث تتمثل في الزلازل والأعاصير أو الفيضانات أو الإستخدام المتعمد للعوامل البيولوجية أو الكيميائية ، ومنها أيضاً حالات الطوارئ المعقدة المتواصلة والمتصلة بالنزاعات إضافة للأخطار المتنامية مثل التسمم ذا النطاق الواسع أو تزايد إنتشار العدوى الفتاكة كفيروس الإيدز أو التصحر، فمنظمة الصحة تؤكد على الأوبئة والأمراض أحد الكوارث الأمنية المتعدية وهي لا تفصل ما بين نطاق الدولة الواحدة أو النطاق الإقليمي.¹

و إن كان يشار إلى لفظ الأزمة عن إحدى الضائقات لغوياً فهي من مشتقات الضيق وضاق الأمر بمعنى إزداد شدة²، فالمصطلح تبلور سياسياً ليبدل على حالة من التوتر الفجائي في فترة معينة قد تكون قصيرة أو طويلة مما قد تشكل فرصة لخلق وضع جديد³، و يعرفها قاموس ويبستر بأنها مرحلة حرجة و غير مستقرة أو خلل في الوظيفة و رغم تعدد التعاريف للمصطلح إلى أن أغلبها يصب فيما ذهب إليه تعريف قاموس ويبستر ، و تجدر الإشارة إلى أن الظهور الأول للمصطلح كان في الطب الإغريقي القديم الذي أستخدم للدلالة على وجود نقطة تحول مهمة في تطور مرض ما و يترتب عليه أما شفاء أو إنتكاسة.⁴

و منه تم تأصيل مفهوم الأزمات الصحية الذي أصبح يدل على قلق مباشر إزاء تأثيرات الأوبئة والأمراض على حياة الإنسان ، بالإخص إذا ما تم ربطها بمخاوف من التداعيات الاقتصادية الشديدة التي قد تنجم عن مواجهة الأوبئة ، فتشير حالة فيروس كوفيد-19 المنتشر حالياً إلى تنامي قلق دولي على الآثار النفسية و الإجتماعية والإقتصادية خاصة وهو ما تم طرحه في افتتاحية صحيفة وول ستريت جورنال Wall street في مارس 2019م التي قالت أن الدول ستواجه معضلة حقيقية جراء إجراءات العزل الصحي القسري و توقف الأعمال ما من شأنه وضع البشر أمام خيارى المخاطرة بالصحة الإنسانية و عدم المخاطرة بالإقتصاد و إختيار توقيف عجلة الإقتصاد و المخاطرة بإمكانية تأثر شرائح واسع من سكان العالم بالفقر جراء تراجع الإقتصاد العالمي.⁵

ثانياً. الأمن و تطور مفاهيم الوقاية الصحية ما بين القطاعات الصحية والسياسية.

من المعروف أن مصطلح الأمن عرف عدة تغيرات بتغير الحياة البشرية وتطورها ، فقد بدأ بدلالة بسيطة تعني غياب الخوف فهي حالة من الإطمئنان النفسي والجسدي فمنذ وجود الإنسان واجه تحديات مختلفة الأشكال و الأنواع و حتى درجة الخطورة التي تمدد بقاءه ، و كانت هذه التهديدات التي يواجهها سببا في تحسين عناصر حياته و مكائته الكونية، وسعياً لزيادة وسائل السيطرة على البيئة المحيطة به و إخضاعها لرغباته لإشباع حاجياته الأمنية والطبيعية والإجتماعية إستمر الإنسان في زيادة سلوكه النابع من الخوف المنعكس على سياقه الفردي أو في إطار الدولة⁶، فالأمن بمعنى أولي هو غياب الشعور بالتهديد وإنتفاء الإحساس بالخطر إذا فالتهديد أو التحدي أو الصراع أمور ملازمة للحياة الفردية والجمعية ، و لعل تحييد الأمن بمعنى الإستجابة النشطة أو المطلوبة تجاه مصادر خوف و تهديد قائمة أو محتملة يكون أفضل تعبير عن طبيعة الأمور سواء داخلية أو خارجية ، و أحيانا ما يكون التهديد إفتراضيا والإستجابة له إفتراضية أو إستباقية أو إحتوائية ولا يكون الأمن نوعا من مقابلة التحدي بالإستجابة و إنما يتعدى ذلك لأنماط من الإستشراف والتوقع.⁷

و إن كان مفهوم الأمن يتفق في جوهره أما أختلف في النظرة عليه وحوله فقد نال نوعا من الإجماع بين الدارسين في وقت سابق حول موضوعية الأمن الذي يرتبط بغياب التهديدات ضد القيم المركزية و بمعنى ذاتي في غياب الخوف من أن تكون تلك القيم محور هجوم المتمثلة في بقاء الدولة والإستقلال الوطني والوحدة الترابية و الرفاه الإقتصادي وكذا الهوية الثقافية ، و قد تطور مفهوم الأمن بعد الحرب الباردة حيث سيطر فكر الواقعيين الجدد و إن كان بدرجات متفاوتة خلال الحرب الباردة التي مع نهايتها ساد منطق الإبتعاد عن المقاربات التقليدية التي تكون الدولة محوراً إلى فهم أكثر إتساعاً ، بيد أن وجهة النظر أصبح تضم جوانب إنسانية عديدة لا تتعلق بالضرورة بقيم الأمن الدولاتي⁸ ، و أخذت قضية الأمن ومعطياته في التغير بحيث إتسمت بالمرونة بما يسمح بإدخال قضايا جديدة قد تطرأ على أمن الدول والعالم ، ورغم هذا فالدول لاتزال أداة لتحقيق الأمن إلا أن دورها قد يحتاج إلى تقويم فلم يعد أمن الدولة والنظام يحسب تلقائياً في أمن البشر والمجتمعات ، وبقاء هذين الإثنين أصبح عاملاً مشتركاً ومتداخلاً في إطار الأمن العالمي الذي ظهرت فيه قضايا بيئية و إقتصادية وصحية و مشكلات علمية تمدد العالم و بقاء البشرية.⁹

ثالثاً. الدور التاريخي للأزمات الصحية في العلاقات الدولية ومعطيات الأمن.

تم تصور دور الكارثة الصحية لأول مرة في عام 1932م عندما نشر لوبل كار عالم الاجتماع لأول مرة نمطا لتسلسل الكوارث ومدى أثرها على المجتمع و إستجابته تقليديا للتهديدات الصحية ، و ركز على التغيرات الإجتماعية المتعلقة بهذه الكوارث مشيرا لأربع مراحل مميزة تتمثل في التغيرات السكانية والتغيرات الثقافية والتغيرات العلائقية وصولا للتغيرات الكارثية ثم ذهب لوصف إستجابة المجتمعات بشكل مميز لهذه التحديات بإستخدام مصطلحات مثل التخفيف mitigate لإستعداد prepare الإستجابة respond التعافي recove ، ولعدة عقود كان ينظر للصحة العامة على أنها نتيجة صامتة وطبيعية للتنمية الإجتماعية بما يضمن توفير المياه النظيفة والغذاء والصرف الصحي ، و تتعامل بدرجة كبيرة مع الوقاية وتم تجاهل الأحداث المتعلقة بالأزمات و الكوارث الطبيعية المفاجئة و التي غالبا ما تكون أحداث كبيرة وفوضوية و ديناميكية لا يمكن التنبؤ بها.¹⁰

وعرفت البشرية عدة أزمات صحية كان لها الصدى على العلاقات الدولية والأمن رغم عدم وجود ربط واضح بينهما في وقت مضى ، فقد كانت مسؤولية الدول نسبية بالنظر لسيادة النظرة الوستفالية إثر نشوء الدول الحديثة ويمكن الفصل بين مرحلتين في هذه الحالة فلم يكن هناك تفسير واضح للأمراض قبل التطور التكنولوجي فكان يفسر إنتشار الأوبئة بصفته غضبا من الرب و لايجوز الإعتراض عليه في العالم الغربي خصوصا عكس العالم الإسلامي والذي كان أقرب للنهج العلمي رغم وجود الصبغة الدينية حيث واجه المسلمون الطاعون و الامراض المستعصية بخطط العزل والوقاية ، و قد ذكر التاريخ عدة كوارث صحية عالمية مثل الطاعون الأسود الذي نشط في الصين ووصل إلى أوروبا و مناطق من الشرق الأوسط و قضى على ثلث سكان هذه المناطق في القرن الثالث عشر ميلادي¹¹ ، وقطعت عدة دول أوروبية العلاقات بينها إبان هذه الفترة ولجأت لعزل المصابين كإجراء وقائي مما أدى لإنحصر المرض آن ذلك ، و تلى ذلك طاعون لندن في القرن السادس عشر إلا أنه لم ينتقل خارج المملكة بسبب إجراءات العزل التي إتخذتها بريطانيا آن ذلك ، ويضاف لذلك مرض الجدري الذي ظهر في العديد من الحقب التاريخية و حصد ما مجموعه 500 مليون شخص منذ ظهوره كان آخرها في القرن السابع عشر في القارة الأمريكية ، و منذ نهاية الحرب العالمية الأولى يمكن رصد ثلاثة أوبئة عالمية أسست لفهوم الصحة العالمية والتي بدأت بالأنفلونزة الأسبانية التي ترجع الأبحاث إلى أنها ظهرت نتيجة الحروب بين الدول الأوروبية و إنتشرت بين الجنود بسرعة كبيرة ، ولم يكن هناك تحرك جماعي لتوقفها لذلك إستمرت لحوالي ثلاث سنوات ، و فيروس نقص المناعة البشرية الذي ظهر في الثمانينيات و حصد أكثر من 40 مليون منذ أكتشافه ، و يرجع ظهوره للظروف الصحية السيئة في القارة الإفريقية التي أعتبرت مهد المرض ، و تلاه فيروس السارس الذي إنتشر في الصين مطلع الألفينيات و إنتقل للولايات المتحدة لكن تم التحكم في إنتشاره ، و إنتشرت عدة أمراض فيروسية متفاوتة الشدة مثل فيروس H1N1 أو ماعرف بأنفلونزة الطيور و أنفلونزة الخنازير و مؤخرا فيروس Covid-19 في نوفمبر 2019م.¹²

وتحكم في إنتشار الأوبئة على المستوى العالمي عاملي الفجائية و غياب الإستراتيجيات الوقائية فرغم تطور المنظومة الصحية العالمية لاتزال توجد عدة نقاط ظل في العديد من مناطق العالم ، و كان قد بلغ حجم التغطية الصحية القانونية عن الإستحقاقات والمزايا التي يحددها القانون الوطني بما أنها شرط أساسي للحماية الصحية الشاملة القائمة على الحقوق و ليس فقط امتيازًا لأغنى جزء من السكان. ومع ذلك فيوجد ما يقرب من أربعة أعشار (38.9 في المائة) من سكان العالم لا يتمتعون بأي

شكل من أشكال التغطية الصحية القانونية و تم العثور على الفجوات الأكبر في أفريقيا ولا سيما في جنوب الصحراء الكبرى أفريقيا حيث يُستبعد نحو 80 في المائة من السكان من التغطية القانونية علاوة على ذلك توجد فجوات كبيرة في آسيا¹³ ، و وسط هذه الظروف وضعت الأزمات الصحية نفسها كمهدد حقيقي و أساسي للأمن الدولي بحيث أصبحت أحد تصنيفات الإستقرار والأمن تتبع من مدى الأمن الصحي للسكان بحيث تصنف العديد من الدول حاليا على أنها دول غير آمنة بسبب ظروفها الصحية الخطيرة .

المحور الثاني: أزمة كوفيد19 المحركات والظروف و أثرها على الواقع الدولي.

أولا.ظروف نشأة فيروس كوفيد 19 في الصين.

يعد فيروس كوفيد 19 أحد الفيروسات المسببة لمتلازمة ضيق التنفس و هي من عائلة الفيروسات التاجية و تم إكتشافه في خمسينيات القرن الماضي و هو مرض يصيب البشر والحيوانات ، و ظهر بشكل عنيف قبل 17 عام تقريبا في الصين حيث تسبب أحد فيروسات كورونا في تفشي حالات إلتهاب رئوي مميت في صمت و الذي عرف لاحقا بإسم مرض المتلازمة التنفسية الحادة (سارس)، و وقعت الحالة الدالة لتفشي مرض المتلازمة النفسية الحادة في مدينة فوشان بمقاطعة غوانغدونغ في الصين في نوفمبر2002م، و قد تم تشخيصه كوباء خطير أصاب أكثر من8000 شخص حول العالم وتسبب في وفاة 774 شخصا.¹⁴ و عاد للظهور مجدد في صورة متلازمة الشرق الأوسط أو ما عرف بميرس في المملكة العربية السعودية في عام2012م ، و لم ينتشر كثيرا رغم أنه كان الأكثر فتكا بسبب قلة إنتشاره بين البشر عكس سرعة إنتشاره من الحيوانات ، وفيروسات كورونا هي من فصيلة كبيرة من الفيروسات التي يمكن أن تتسبب في طائفة من الأمراض تتراوح بين نزلة البرد الشائعة والمتلازمة التنفسية الحادة التي قد تسبب الوفاة، و كان يصنف أصحاب هذه الأعراض على أنها نزلة بردية أو متلازمة ضيق التنفس تكون أسوء لدى كبار السن وأصحاب الأمراض المزمنة¹⁵ ، و قد ظهرت أعراض مماثلة في إقليم وهان الصينية في نوفمبر 2019م بالتزامن مع إحتفالات العام الصيني الجديد و سرعان ما عم القلق أرجاء البلاد مع إنتشار إلتهاب رئوي حاد وسريع التطور مرتبط بفيروس جديد، و ظهرت في ظرف قليل أكثر من17000 حالة مؤكدة و أكثر من20000 حالة محتملة في أرجاء الصين و23 دولة أخرى ، و إلتزمت الحكومة الصينية بالتكتم دون إبداء أي معلومات حول الفيروس الجديد ، فيما أكدت دول أخرى ظهور الفيروس مما دعى لإعلان منظمة الصحة العالمية عن حالة الطوارئ بإعتبار أن الفيروس الجديد خطر على الصحة العامة وتم إطلاق إسم كوفيد 19 نسبة لعائلة كورونا إضافة لسنة ظهورها2019م.¹⁶

ثانيا. عوامل إنتشار الفيروس خارج الصين وأثرها على المستوى الدولي

على مدى الثلاثين سنة الماضية زادت حالات تفشي الفيروسات القاتلة و أصبح إنتشارها سريعا و أحدثها فيروس كورونا ، حيث يعيش اليوم مايقارب 7.7 مليار نسمة بكثافة أكثر من أي وقت مضى و هذا الرقم في تصاعد مستمر ، وكلما زاد الأشخاص في مساحات صغيرة كلما إرتفع خطر التعرض لمسببات الأمراض التي تسبب المرض و يبدو أن فيروس كورونا الذي بدأ إنتشاره من مدينة ووهان الصينية ينتقل من شخص لآخر بفعل العطس أو السعال¹⁷ ، و أشار تقرير صيني في مجلة نيوانغلاند

جورنال أوف مادسون في بداية إنتشار المرض إلى أن الشخص المصاب سينقل المرض لما معدله 2.2 شخص و هي أعلى من نسبة إنتقال الإنفلونزا الشتوية و تزداد هذه النسبة لدى الناس الذين لا تظهر عندهم الأعراض فقد تتجاوز نسبة نقل العدوى لأضعاف هذا الرقم¹⁸، و بدأت بعض الدول في الإبلاغ عن حالات ذات أعراض مشابهة مثل كوريا الجنوبية و تايلاند و هونغ كونغ و بعض الدول المجاورة و بدأت أغلبية دول العالم في إتخاذ مزيد من الإجراءات الوقائية و الإستباقية.¹⁹

و رغم هذه الإجراءات فإن الفيروس أخذ في الإنتشار و صنع بؤر جديدة للعدوى تمثلت في إيطاليا و إيران و بدأت عدة الدول في إكتشاف حالات واسعة للإصابة بهذا الفيروس و أغلبهم قادمين من هاتين المنطقتين، و وصلت أعداد المصابين مع نهاية شهر فيفري إلى ما يقارب 120 ألف حالة في إيران وإيطاليا و بدأت الدول المجاورة في إغلاق حدودها خصوصا بعد تأكيد قدوم الحالات من هذه الدول و أخذ الفيروس في الإنتشار ليتم إعلان حالة الطوارئ العالمية مع تحول عدة مناطق إلى بؤر عالمية مثل إسبانيا و إيطاليا و إيران و الكويت والسعودية²⁰، لكن نقطة التحول عندما تدهورت الأوضاع في الولايات المتحدة عندما أصبحت تسجل معدلات يومية عالية فاقت ما سجلته الصين خلال أشهر، وأدى الإنقلاب الشتوي في 21 مايو 2020م إلى إنتقال الفيروس سريعا للنصف الجنوبي للكرة الأرضية أين عرفت دول عديدة من أمريكا اللاتينية و أجزاء من أستراليا وأفريقيا ليجوب الفيروس أطراف الأرض مع توجه دول العالم لإجراءات وقائية للحد من إنتشاره و المتمثلة في الحجر.²¹

و مع عودة الشتاء للنصف الشمالي للكرة الأرضية تواجه اليوم العديد من دول موجات جديدة لأنتشار الفيروس لكن مايميز هذه الفترة أن الأنظمة الصحية باتت أكثر إستعدادا و تحسبا لإنتشار الفيروس خاصة مع إتساع رقعة التحاليل بين السكان، و مع نهاية خريف 2020م بلغت أرقام الإصابة بكورونا ما يفوق 50 مليون وفاقت أعداد الوفيات المليون حالة و تعد أوروبا نقطة نشطة للفيروس إذ سجلت 12.5 مليون إصابة و 305000 وفاة تليها الولايات المتحدة الأمريكية و البرازيل والهند²²، و يلاحظ أن الصين باتت تسجل أقل عدد من الإصابات و أغلبها من الوافدين من الخارج و نادرا ماتسجل حالات داخلية، ما يدعم الخطاب الصيني خارجيا بصفتها الضامن العالمي للصحة بعد نجاحها في السيطرة على الفيروس مبكرا و تأتي هذه الظروف في ظل الصراع التجاري الأمريكي الصيني وتبادل الإتهامات التي تدور حول مسؤولية الصين في إنتشار الوباء و بإعتبار أنها أصبحت المستفيد الأول في إنتشاره خارجيا، و تزداد الخلافات إذا ما تم النظر للمعطيات الإقتصادية إذ يلاحظ أن العديد من الدول تضررت من الجائحة فشهدت دول مثل كندا و المكسيك و أمريكا الوسطى و دول جنوب شرق آسيا والإتحاد الأوربي تباطئا في النمو قدر ب 0.7% و 0.9% في المقابل تشهد الدول الأكثر إرتباطا بالصين تعافيا كبيرا مع تعافي الإقتصاد الصيني الذي وجه جهوده نحو مستلزمات مكافحة الفيروس طوال فترة الجائحة.²³

ثالثا. التعامل الدولي مع الأزمة الصحية والإنتقال من التعاون إلى الصراع .

رافق المعارك الصحية مع فيروس كورونا المستجد عدة صراعات دولية أخرى تعددت أسبابها، فمنذ الوهلة الأولى لتحول الأزمة الصحية إلى جائحة عالمية سادت الإتهامات و الخلافات السياسية فالولايات المتحدة الأمريكية تبنت خطاب قوي ضد الصين لضلوعها في إنتشار الفيروس خصوصا مع تصريحات منظمة الصحة العالمية بشأن عدم تعاون الصين معلوماتيا²⁴، و من

جانبه قال وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو أن العالم سيجعل الصين تدفع ثمننا عن دورها في وباء كورونا ، فالعنوان الأكبر للصرعات تنصدره الإختلافات الأمريكية الصينية التي تتعدى مسألة إنتشار كوفيد-19²⁵ ، و في سياق متصل إجتاحت أزمة غير مسبوقه الإتحاد الأوروبي فقد إستخدمت عدة دول أعضاء تعبير " حالة الحرب " في مواجهة تفشي فيروس كورونا ، ففي سابقة خطيرة قامت التشيك بمصادرة شحنات مساعدات طبية صينية كانت متوجهة إلى إيطاليا ، أما ألمانيا فقد منعت تصدير المستلزمات الطبية و قامت عدة دول أوروبية بهذا الإجراء و هاجمت إيطاليا هذه الإجراءات بإعتباره ينسف عقود من سياسة الإتحاد الأوروبي مما يؤكد عجز الدول الأوروبية عن إيجاد صيغ للتعاون و التضامن المشترك في ظل وجود حالات منكوبة تستحق المساندة.²⁶

و نشرت مجلة السياسة الأمنية Security policy brief في آذار/مارس 2020م تقريراً يفيد أن الفيروس المستجد قد يساهم في تغير موازين القوة بين القوى الكبرى ، ففي الوقت الذي إمتنعت الدول الأوروبية عن مساعدة بعضها البعض أقدمت روسيا على إرسال مساعدات إلى إيطاليا رغم ماتواجهه من تبعات إختيار أسعار النفط ، و يقول التقرير أن روسيا تعتبر أضعف القوى الكبرى بسبب هشاشة إقتصادها بسبب صعوبة قدرتها على التعافي و ستتجه للتطبيع مع أوروبا بدل الإتكاء على القوة الصينية فهي لا ترغب في أن تكون قوة تابعة للصين ، و هي بدورها تملك قدرة جيدة على التعافي فقد بذلت جهوداً حثيثة للتغلب على الأزمة على المدى القصير وإستئناف العمل في ظل توقف الإقتصادية الكبرى العالمية ، و قد تبدو الولايات المتحدة الأمريكية مجبرة للتحرك من أجل منع الصين من كسب هذه الخطوة و يبدو أن الشروع في مغامرات خارجية مستبعد في الوقت الحالي في ظل سعي ترامب لتقليص النفقات الخارجية ، و هو ما سيجعلها تخطط أكثر للكسب الدبلوماسي مثل تحركاتها الأخيرة في الشرق الأوسط.²⁷

و غير بعيد عن الصراع في ظل تفشي الجائحة فإن بوادر نجاح اللقاحات أنتجت صراعاً جديداً ما بين الإستثمار المغلف بالبعد الإنساني ، فمع بداية الأزمة بدأت العديد من الدول في إستنفار أجهزتها العلمية للبحث عن لقاح ممكن للفيروس و تخطت هذه البرامج مرحلة التجارب ومع نهاية خريف 2020م وصلت عدد اللقاحات لما يقارب 48 لقاحاً مضاداً وصلت 11 منها فقط للمراحل الأخيرة ، و يبدو أن صراعاً جديداً يلوح في الأفق في ظل الإعلان المبكر عن اللقاح الروسي في سبتمبر الذي يظهر أنه إعلان سياسي أكثر منه سبق طبي في ظل عدم إستيفائه الشروط العلمية للتوزيع ، و مع إعلان شركتا فايزر وبيونتيك و موديرنا الأمريكية فضلاً عن وصول لقاح أكسفورد للمراحل الأخيرة بنسب تقارب فعالية 90% الذي هو بمثابة إعلان عالمياً للأفضلية الأنجلوساكسونية في هذا المجال ، أعلنت الصين بشكل مبكر جاهزية لقاحها كانسينو بايولوجيكال بالتعاون مع الجيش الصيني و الذي وصل مراحلها الثالثة ، بالإضافة إلى لقاح سبوتنيك 5 الروسي الذي يتهم بأنه خرق البروتوكول الإعتيادي بإعلان جاهزيته.²⁸

و بالنظر إلى حجم اللقاحات المطروحة حالياً يلاحظ أن الصين تملك 11 لقاحاً ممكن بقدره إنتاج قد تصل إلى 610 مليون جرعة قبل نهاية عام 2020م ، بينما اللقاحات الأمريكية قد تصل في مجملها إلى 300 مليون جرعة مع نهاية السنة كأقصى تقدير وهو ما يؤكد تفوق الصين إنتاجياً رغم تفوق الولايات المتحدة الأمريكية من ناحية إحترام المعايير و البروتوكولات ،

بيد أن إنسحاب الولايات المتحدة من منظمة الصحة العالمية منح الأفضلية للصين فقد قدمت 30 مليون دولار إضافية للمنظمة مباشرة بعد القرار الأمريكي بالإنسحاب في أبريل الماضي²⁹، وقد نشرت صحيفة لوفاجارو الفرنسية تحقيقاً في 10 أبريل 2020م يكشف مدى النفوذ الواسع الذي باتت تمتلكه الصين في المنظمة منذ العام 2010م، وهي إستراتيجية تتبنى القوة الناعمة من أجل دعم القوة الصينية في العالم من خلال توسيع الدعم المالي للمنظمات العالمية و زيادة الموظفين الصينيين في هذه المنظمات³⁰، و من المتوقع أن لا تواجه اللقاحات الصينية إعتراضاً كبيراً من المنظمة و تؤكد بعض التقارير أن الصين قد بدأت بالفعل في تسويق لقاحاتها حول العالم التي لا تخرج عن الميزة التجارية للصين التي ستستهوي دون شك الدول النامية المثقلة بالأزمات بسبب تبعات إنتشار الفيروس، و يقول أنطوان الحاج في مقال بموقع الشرق الأوسط أن الحرب على الفيروس أصبحت مع مرور الوقت حرباً بسببه فمن المنطقي أن الصين تسعى للإستثمار في اللقاح بسبب الإتهامات التي تواجهها حول مسؤوليتها في إنتشار الفيروس، غير أن الولايات المتحدة ودول أخرى لن تسمح للصين بالإستثمار بالسوق بمفردها غير أن التنافس الأمريكي الصيني قائم بوضوح فقد نسبت مجلة بوليتيكو إلى مسؤول في جهاز الأمن القومي الأمريكي قوله أن بكيت متقدمة في الجهود العالمية لتطوير اللقاح و أيده في ذلك الدكتور سكوت غوتليب المدير السابق لإدارة الغذاء والدواء الأمريكي في مقال نشرته صحيفة وول ستريت في قوله " إن الصين تحرز تقدماً سريعاً في تطوير اللقاح.. وأن الدولة التي تصل لخط النهاية قبل سواها ستكون الأولى في إستعادة إقتصادها ونفوذها العالمي والولايات المتحدة الأمريكية معرضة لخطر أن تكون ثانية"³¹.

خاتمة :

يعد الصراع أمراً طبيعياً في العلاقات الدولية فسيظل قائماً مادام هناك طموحات للدول في زيادة قوتها ما من شأنه أن يمثل تحدياً لقوى أخرى للمكانة الإستراتيجية، لكن مع بداية الأزمة الصحية العالمية و تفشي جائحة كورونا أواخر سنة 2019م كان التحدي الأساسي في مدى قدرة هذه الدول لتحديد هذه الصراعات نحو علاقات تعاون في ظل وباء يهدد العالم ككل، لكن مع مرور الوقت بدأت بوادر صراع من نوع آخر كانت شرارته إتهام الصين بنشر الفيروس كإستمرار للحرب التجارية بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية، لكن الأهم أن الفيروس إنتقل إلى أغلب دول العالم و أدى لشلل قطاعات اقتصادية واسعة من العالم و أدى لخسائر للأرواح و أخرى مادية لكنها لم تؤثر بشكل كبير على مسار التعاون أو الصراع فقد تم إستغلال الجائحة من بعض الأطراف في التوظيف السياسي مثل الولايات المتحدة الأمريكية التي سعت لتحجيم النفوذ الصيني بتحميلها المسؤولية عن إنتشار الفيروس و كذا محاصرتها إقتصادياً بفرض المزيد من العقوبات الإقتصادية، أما دول أخرى مثل الصين فسعت للإستفادة من هذه الجائحة عبر الإتجاه لإقتصاد الأزمة من خلال الإستثمار في خبرتها في الأزمات الصحية و كذا الدعم المادي و المعنوي للدول التي تواجه كوارث صحية مثلما حدث في إيطاليا و إيران .

و لم تخرج مسألة البحث عن العلاج عن ذات المسار الذي ساد التعامل مع الأزمة، فقد بدأ قطار التنافس مبكراً للبحث عن لقاح ممكن للفيروس المستجد، وتحول التعاون مع مرور الوقت إلى تنافس مع ظهور نتائج الأبحاث فترى بعض الدول أن اللقاح هو تعويض ممكن لخسائرها الإقتصادية بينما ترى أخرى أنها بمثابة حماية لها من الضغط الدولي خاصة أن الإنتاج المبدي

محدود جدا ، و الأهم أن كل دولة تسعى لحسم الصراع لصالحها من خلال ما يعرف بشرف إنهاء الحرب فالجانب على جائحة كورونا قد تفرز معطيات دولية جديدة مثلما أفرزتها الحرب الباردة و ربما ستكون لها الأثر الكبير في تحديد موازين القوى الجديدة في ظل بروز أقطاب جديدة تنافس الولايات المتحدة على الهيمنة والقيادة.

الهوامش:

¹ العمل الصحي فيما يتعلق بالأزمات والكوارث ، " تقرير من الأمانة ، جمعية الصحة العالمية الثامنة والخمسون ، البند 13-3 من جدول الأعمال المؤقت ، ج 6/58 ، 14 نيسان/أبريل 2005 ، منظمة الصحة العالمية، الرابط: https://apps.who.int/gb/archive/pdf_files/WHA58/A58_6-ar.pdf

² صالحى فاطمة ، " إدارة الأزمات الصحية في الجزائر : الفشل السياسي والإداري في إدارة الأوبئة - إدارة أزمة وباء الكوليرا نموذجاً 2018-2018 "، الملتقى الوطني للإدارة الجزائرية للأزمات والكوارث : نحو تبني إستراتيجية فعالة 2019م، جامعة 8 ماي 1945م ، قالمة ، 2019. ص 13.

³ كرامة مروة وآخرون، " تأثيرات الأزمات الصحية العالمية على الإقتصاد العالمي : تأثير فيروس كورونا كوفيد-19 على الإقتصاد الجزائري أمودجا"، مجلة النمكنين الإجتماعي، المجلد 02، العدد 02، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ، جامعة عمار ثلجي ، الأغواط، جوان 2020، ص 313.

⁴ زينات موسى مسك، " واقع إدارة الازمات في مستشفيات القطاع العام العاملة في الضفة الغربية وإستراتيجيات التعامل معها من وجهة نظر العاملين"، بحث مقدم لإستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في إدارة الأعمال، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الخليل ، فلسطين ، 2011. ص 13.

⁵ سفين سميت وآخرون ، " حياة البشر وسبل عيشهم في الأزمة الصحية العالمية الراهنة "، مجلة ماكنزي أند كومباني ، نشر في 23 مارس 2020، اطلع عليه في 09/11/2020، الرابط:

<https://www.mckinsey.com/business-functions/strategy-and-corporate-finance/our-insights/safeguarding-our-lives-and-our-livelihoods-the-imperative-of-our-time/ar-ae>

⁶ جارية الصادق، "تحولات مفهوم الأمن في ظل التهديدات الدولية الجديدة"، مجلة العلوم القانونية والسياسية ، العدد 08، جامعة حمه لخضر ، الوادي، جانفي 2014م. ص 20.

⁷ عقيل سعيد محفوض، " في مفهوم الأمن : مقارنة معرفية إطارية "، بحث في قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، ديسمبر 2016. ص 5.

⁸ إنعام عبد الكريم أبو مور، " مفهوم الأمن الإنساني في حقل نظريات العلاقات الدولية "، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية ، جامعة الأزهر ، غزة ، 1434هـ - 2013م. ص 26.

⁹ محمد أحمد علي العدوي ، " الأمن الإنساني ومنظومة حقوق الإنسان - دراسة في المفاهيم.. والعلاقات المتبادلة "، مركز الإعلام الأمني، وزارة الداخلية البحرينية ، النامة . ص 04.

¹⁰ Frederick M. burkle JR, Challenges of Global Public Health Emergencies: Development of a Health-Crisis Management Framework, **journal J-stage**, Vol249,N01, Tohoku University Medical Press, Japan,2019, P35.

¹¹ جينا كولوتا، " هكذا إنتهت الأوبئة على مر التاريخ... فكيف سينتهي كورونا؟"، نون بوست ، نشر في 12/05/2020، اطلع عليه في 09/11/2020، الرابط: <https://www.noonpost.com/content/36991>

¹² عامر سليمان ، " أشد الأوبئة فتكا في التاريخ..كيف تصدى لها العالم؟"، TRT عربي، نشر في 25/03/2020م، أطلع عليه في 09/11/2020م، الرابط:

<https://www.trtarabi.com/explainers/%D8%A3%D8%B4%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%A8%D8%A6%D8%A9-%D9%81%D8%AA%D9%83%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%AA%D8%B5%D8%AF%D9%89-%D9%84%D9%87%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-24882>

¹³ Isabel Ortiz, Addressing the Global Health Crisis: Universal Health Protection Policies, **SOCIAL PROTECTION POLICY PAPERS, Paper 13**, International Labour Office, Social Protection Department. - Geneva: ILO, 2014, P10.

¹⁴ جينيفر بوي، "من مرض المتلازمة التنفسية الحادة الخبيثة (سارس) إلى فيروس كورونا المستجد 2019م: التعاون الأمريكي الصيني بشأن الإستجابة للأوبئة"، شهادة لجنة شؤون الخارجية في مجلس النواب واللجنة الفرعية المعنية بشؤون آسيا والمحيط الهادئ وسياسات حظر الإنتشار، مؤسسة راند، أبريل 2020. ص 03.

¹⁵ كرامة مروة وآخرون، مرجع سابق، ص 315.

¹⁶ جينيفر بوي، مرجع سابق، ص 08.

¹⁷ ستيفاني هيغارت، "فيروس كورونا: لماذا تنتشر الأوبئة بسرعة في الوقت الحاضر؟" **BBC**، نشر في 2020/01/30م، اطلع عليه

في 2020/11/10، الرابط: <https://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-51293542>

¹⁸ لماذا ينتشر كورونا بسرعة خارج الصين؟" الشرق الأوسط، نشر في 2020/04/11م، اطلع عليه في 2020/11/10م،

الرابط: <https://aawsat.com/home/article/2126616/%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D9%8A%D9%86%D8%AA%D8%B4%D8%B1-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D8%A8%D8%B3%D8%B1%D8%B9%D8%A9-%D8%AE%D8%A7%D8%B1%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%8A%D9%86%D8%9F>

¹⁹ الصين: إنتشار " فيروس غامض " يخشى العلماء لتحويله إلى وباء عالمي"، فرانس 24، نشر في 2020/01/18م، اطلع عليه في 2020/11/10م، الرابط:

<https://www.france24.com/ar/20200118-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%8A%D9%86-%D9%81%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%B3-%D9%88%D8%A8%D8%A7%D8%A1-%D8%B9%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%A1-%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AD%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%B1%D8%B6-%D8%B9%D8%AF%D9%88%D9%89-%D8%B3%D8%A7%D8%B1%D8%B3>

²⁰ أرقام مرعبة... كورونا يواصل إنتشاره عربيا و مصدره الأول إيران وإيطاليا"، دوتش فيلا، نشر في 2020/03/03م، اطلع عليه في 2020/11/10م، الرابط:

<https://www.dw.com/ar/%D8%A3%D8%B1%D9%82%D8%A7%D9%85-%D9%85%D8%B1%D8%B9%D8%A8%D8%A9-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D9%8A%D9%88%D8%A7%D8%B5%D9%84-%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%87-%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A7-%D9%88%D9%85%D8%B5%D8%AF%D8%B1%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84-%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D9%88%D8%A5%D9%8A%D8%B7%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A7/a-52628776>

²¹ لماذا غدت الولايات المتحدة البؤرة الجديدة لكورونا عالميا؟"، دوتش فيلا، نشر في 2020/03/28م، اطلع عليه في 2020/11/10م، الرابط:

<https://www.dw.com/ar/%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%BA%D8%AF%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%84%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A4%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D9%84%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A7%D9%8B/a-52947548>

²² فيروس كورونا: عدد الإصابات يتجاوز 50 مليون في العالم، **BBC**، نشر في نوفمبر 2020م، اطلع عليه في 2020/11/10م، الرابط:

<https://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-54868104>

²³ كرامة مروة وآخرون، مرجع سابق، ص 318.

